طـــفولــة جوزيـــف فريزنسكي

تأتر جوزيف فريزنسكي بطفولته التي لم تكن بالسهلة مما دفعه عندما كبر إلى إنشا ء تابوري. هذا جزء من قصة طفولته :

ولد جوزيف في أنجيه بفرنسا ، في *12* فيفري *1917*. من أب بولندي وأمّ إسبانية.

الوالدان فقيران. يعيشان في مسكن قديم مظلم مع أبنائهما.

حُرم والده من جميع الوظائف التي تقدم لها بسبب أصله البولندي. يجب عليه الذّهاب لألمانيا للعمل. بقيت الأم وحدها مع أطفالها الأربعة.

« جوزيف ، جوزيف ...هيّا ، أسرع ، حان الوقت !»

عاد جوزيف إلى فراشه ، لا يريد يخرج .الجو بارد في الغرفة. تيارمن الهواء يتسرب تحت الباب ويمرّ على وجهه ، يوقظه من نومه. جوزيف يتنّهد ويتخيّل الطريق التي يجب أن يقطعها للذّهاب إلى الدير حيث كان يقدم هنالك المساعدة للقصيص.

بالقرب منه ، والدته تشعل النار في الموقد.
« لا تنسى أن تذهب لجمع بعض الفحم.»

يدفع جوزيف باب منزله، باب حديدي قديم يطل على الشّارع. مازال الظلام والهواء المنعش يجعله يرتجف.

يركض بسرعة في الظلام لينسى الخوف والبرد. من الأن، يرى شرائح المربى والأوعية الكبيرة من القهوة و الحليب التي ستعطيها له الأخوات بعد القداس.

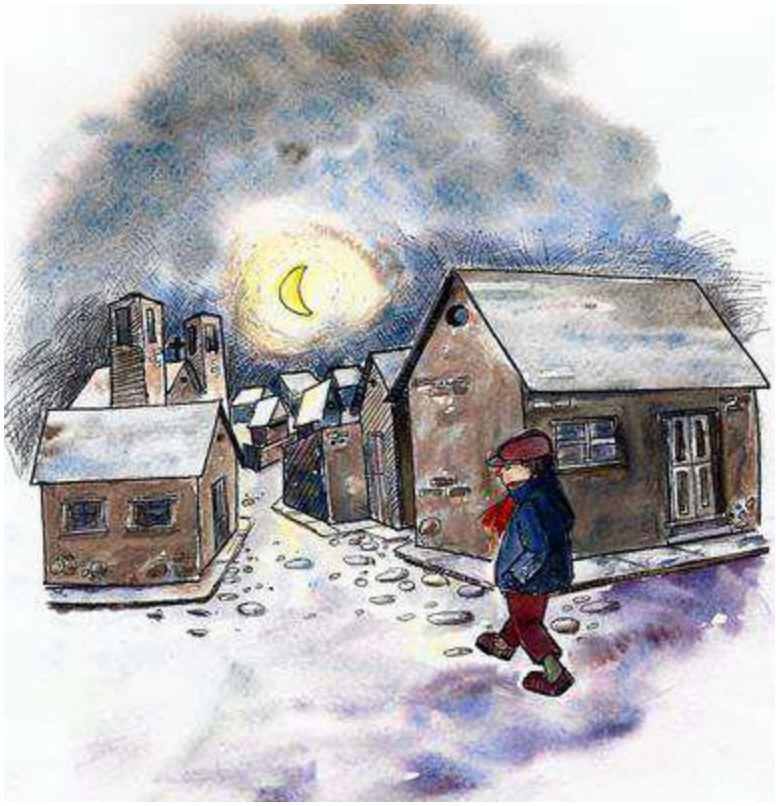

« منذ فترة طويلة لم يراسلنا والدي ... آمل في المرة القادمة التي يأتي فيها ، أن يجلب لنا ألعابا أيضا. أمي شجاعة لوحدها مع أبنائها الأربعة ... مارتن وأنطوانيت لا يزالا صغيرين ... لحسن الحظ أن لويس يافع ويستطيع مساعدتها.»

حُرم والدي من جميع الوظائف التي تقدم لها بسبب أصله الأجنبي. اضطر للذهاب للبحث عن عمل في بلد آخر.

وقد سار بالفعل على طول الشارع الرئيسي سانت جاك ونزل شارع برولت. الحي مهجور, بعيد , المروج و جدران الدّير الكبيرة تظهرمن خلال ضباب الصباح.

بدأ جوزيف منذ عمر الرابعة من عمره بالحصول على القليل من المال يوميا لمساعدة عائلته. يخدم القداس في دير بون باستور.

« آه ، ها هو جوزيف الذي يأتي لخدمة القداس» تقول الأخت أوغستين وهي تفتح له الباب الخشبي الكبير.

في وقت لاحق ، عندما خرج جوزيف من الدير ، أخبرته بصوت عالي:

« ولا تنسى أن تأتي ظهرا و تجلب معك وعاءا ! »

يسرع جوزيف ، يتّعين عليه التقاط قطع من الفحم من أكوام محطة الغاز, قبل الذهاب إلى المدرسة. يداه تبحثان في الكتلة السوداء عن الفحم.

« لماذا لا نستطيع دفع ثمن الفحم مثل كل العالم ؟ أنا أشعر بالبرد ثم سأحصل على التوبيخ من المعلّم لأنّ يداي متسختان.

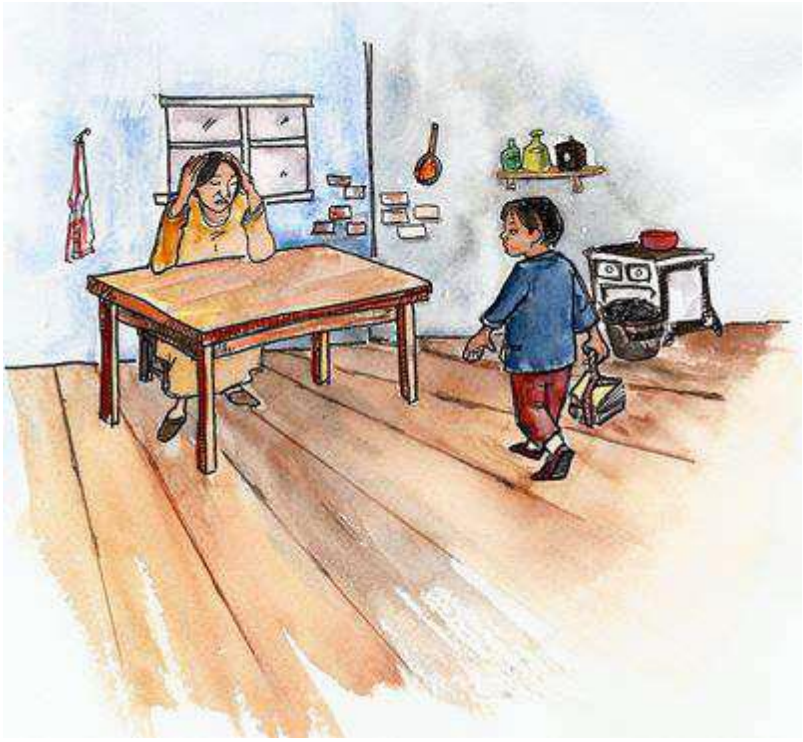

عندما يصل إلى المنزل ليضع الفحم و يأخذ حقيبته للذهاب للمدرسة ، يجد والدته جالسة ، صامتة يداها على رأسها.

لا يجرؤ على إزعاجها. يرى جيّدا أنها حزينة.

يضع بعض قطع الفحم في الموقد القديم ويأخذ حاجياته و يذهب إلى المدرسة.

يركض للّحاق بأخيه لويس الذي خرج لتوّه.

في الطريق ، يلتقيان مع الأطفال الآخرين الذاهبين أيضا إلى المدرسة:
« مرحبا كيكي...»

هكذا ينادوهما دائما في الحيّ ، بسبب اسمه المعقد فريزسكي.

في أحد الأيام ، في ساحة المدرسة ، صبي طويل القامة وقوي يقوم بضرب طفل آخر, أصغر منه, بلكمات وركلات.

« في المرة القادمة ، سوف تتذكر. لا أحب أن يزعجني أي طفل! »

لم يستطيع جوزيف كبح غضبه ورمى نفسه على الصبي الكبير:

« سأعلمك , أنا , أن تضرب الصغار...! ».

لا يعلم لما فعل هذا: الدفاع عن طفل لا يعرفه حتّى ، طفل لا يعني له شيئا.

لكن جوزيف لا يحتمل الظلم وأن يتعرض طفل صغير للضرب من آخر أكبر منه.

« أنت فريزنسكي دائما! » أخبره معلمه غاضبا

« دائما تتشاجر! هذه المرّة ، هذا كثير جدا ، أنت مطرود ! تم طرد جوزيف من المدرسة. يجري دون أن يعرف إلى أين.

« مطرود من المدرسة! ماذا فعلت ؟ »

.

.

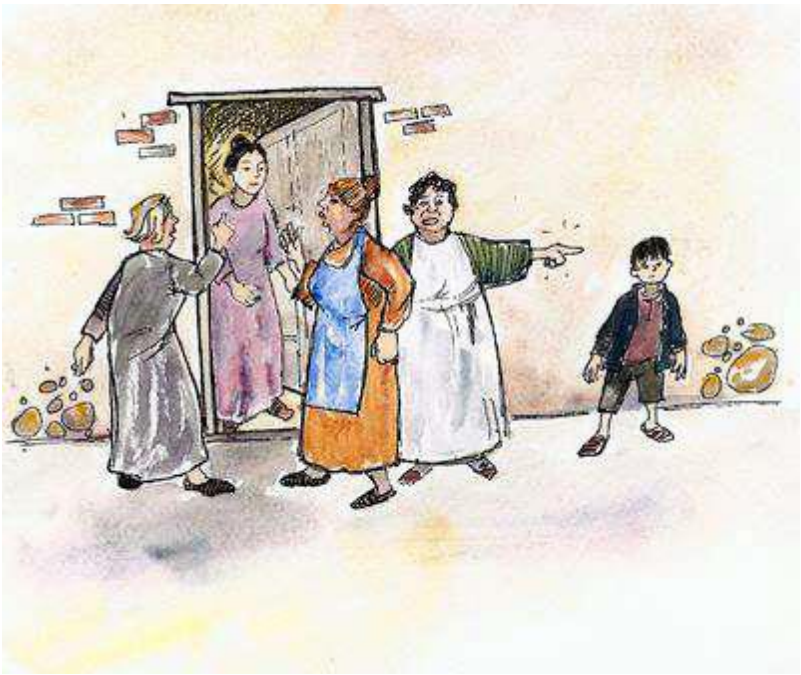

علم الحي كلّه بعد بضعة أيام أن جوزيف طُرد , يقول الناس:

«علينا أن نتدخل, نتصرّف قبل فوات الأوان ».

سيدات جدّيات يطرقن على باب السيدة و فريزنسكي , يشتكين من سلوك جوزيف واقترحن وضعه في منزل الرّعاية.

«تستطيعين وضع جوزيف في منزل الرّعاية... سيتحصل على الطّعام ، السّكن ، التربية ، يتعلم مهنة و تنقص مشاكلكي.»

تعتقدن: « بالتأكيد سوف يخفف على هذه المرأة المسكينة رؤية هذا الطفل العجيب يذهب.»

قالت والدة جوزيف لنفسها :

« جوزيف سيغادر ، الآخرون قرروا ، لم يعد هناك شيء لقوله.»

ولكن عشية مغادرة جوزيف ، تمردت والدته .

قالت له و هي تعانقه:

«لا ، أنت لست يتيما ، لديك أمّ. هنا, نحن فقراء. لكن لدينا ثروة العائلة. لن أحرمك من ذلك !»
بفضلها لم يذهب إلى هناك. رفضت السّماح له بالرّحيل.

منذ أشهر قليلة ، تمكن جوزيف من العودة إلى القسم, لكنه لا يستطيع التركيز على عمله.

يرى والدته حزينة جدا. يتذكر شجاعتها ، يوم جاءت السيدات إلى المنزل.

بعد قليل عندما سيعود إلى المنزل ، يجب أن يقوم بتصرف جميل معها.

ربما سيجد مجددا زهورا في الحدائق؟.

نهاية السنة تقترب. وقت التسجيل في امتحانات نهاية الدورة.

يستدعي المدير والدة جوزيف ويخبرها:

« أنت تتفقين معي, سيدتي ، جوزيف يتعلم بشكل سيء للغاية في المدرسة. إذا لا يستحق أن يجتاز شهادة الدراسات.».

ردت عليه والدة جوزيف: « لا على الإطلاق! إنه مهتم بهذه الأمور! يجب أن تكون لديه نفس الفرصة كالآخرين...».

تشجع الأم ابنها على الإهتمام بدراسته. إنها تعلم أنه ذكي بقلبه ، بيديه ، برأسه! يستحق شهادته!

بما أن المدير يرفض دائما تسجيل جوزيف في الإمتحان ، سجلته والدته كمرشح حر *.
يساعده صديق على مراجعة.

يجتاز جوزيف الإمتحان وينجح!

* عند التسجيل بأنفسنا لإجتياز الإمتحان دون دعم المدرسة.